الثورة
الجمعة 2 محرم 1434هـ 16 نوفمبر 2012م العدد (17530)

نقد الفكر الجاهز والواقع

■ ينطلق كتاب «نقد الفكر الجاهز أسئلة الثورة والإصلاح في الوطن العربي»، لمحمد بهضوض من فرضية مؤداها أن هناك فكراً جاهزاً ما فتئ ينتشر في العالم، يتكون من خطاب تبسيطي جاهز، ويعتمد على الرأي والمزاج، ويرى الأشياء بشكل معياري أو مانوي، ويقدم حلولاً جاهزة لكل مشاكل العالم، بعيداً عن المحاكمات المنطقية والطرق العقلية في التفكير والاستنتاج .

فالفكر الجاهز بحسب المؤلف يستسهل مسألة إدراك الواقع وتغييره، كما يستطيع أصحاب هذا الفكر أن يفهموا العالم ويفسروه بجمل بسيطة وسطحية، فالعالم ومشاكله الكبرى واضحة وسهلة الحل، لدرجة أن كل شخص تجد عنده منظومة للتبسيط جاهزة لتحليل وفرض تصور معين للإنسان والعالم .

غير أن المؤلف يوجه نقداً جذرياً للفكر الجاهز ونظرياته، لأن مسألة إدراك الواقع وتفسيره ليست بالأمر الهين . ولو كان العالم يقدم نفسه بكل الوضوح الذي يدعيه الفكر الجاهز لما كانت هناك حاجة للأساطير والنظريات الكبرى، التي حاولت تفسير العالم، وهداية الانسان الى سواء السبيل .

وللفكر الجاهز تجليات كثيرة، فهو يظهر حين تعطى الأسبقية، وللقراءة الرسمية للنص على القراءة الإنسانية، وللشرع على الواقع، وللأحادية على التعددية . كما يتجلى في الاقتصاد حين يصبح المال هو كل شيء، وفي الحقل الاجتماعي حين تسود تقاليد الجماعة والهوية على تقاليد الانفتاح والتعدد والآخر.

وفي الإعلام حين تسود الغوغائية والثرثرة، ويصبح الشكل هو المضمون، وتطغى عناصر الدعاية والإعلان والإثارة على ما عداها من عناصر العقلانية . أما في المجال السياسي فيظهر الفكر الجاهز حين تتحول السياسة إلى لعبة ميكافيلية أو آلية لاحتكار السلطة باسم العصبية أو القومية أو الإثنية أو الطبقة .

وبعد نقاش طويل عبر فصول الكتاب لقضايا تتعلق بالتاريخ وعلاقته بالحقيقة والتأويل، وبالواقع وعلاقته بالفكر، وبالحقيقة وعلاقتها بالعدالة، وبالسياسة وعلاقتها بأساليب الانتقال الديمقراطي، وبالحضارة وعلاقتها بالهوية والثقافة، وبالأخلاق وعلاقتها بالقيم... الخ، وبعد الاستعانة بعدد من المفكرين من الغرب والشرق، من أمثال : إدغار موران، عبد الله العروي، هيجل، هنري لوفيغر، أرنست رينان، محمد مجتهد شبستري، جيل دولوز، امانويل كانط، كارل ماركس.. الخ، ينتهي المؤلف الى أن الفكر الجاهز لا يصل لفهم الواقع، ولا لدراسة وتحليل التاريخ، ولا يعرف طبيعته الحقيقية، أو ماهي آليات عمل الحضارات .

ففي مجال العلاقة بين الفكر والواقع ينتهي بهضوض إلى أن هذا المجال وقع ضحية نظريات وتصورات غربية جاهزة عن العالم والإنسان، لم تعد اليوم قادرة على مواكبة التحولات . الأمر الذي يؤكد وجود حاجة لفكر أكثر ملاءمة وانفتاحاً، لأن هناك حاجة ماسة لفهم الواقع باعتباره مستويات متعددة وأنساقا متداخلة.

أما في مجال التاريخ والذاكرة فقد اتضح للمؤلف أنه عرضة للفهم الاختزالي والتهويمات الخيالية والاستغلال السياسي، فالتاريخ يجب أن يكون منبعاً للدروس والتجارب وليس سبباً للانتقام، أو عقبة في طريق العدالة والتطور، كما تبين للمؤلف أن الهوية هي مجال مركب بامتياز، ويخضع لتحولات المعرفة والواقع، ولذلك فهي في تطور دائم، وقد آن الأوان لكي نخرج من صورة الهوية النمطية الجاهزة والثابتة .

الكتاب: نقد الفكر الجاهز أسئلة الثورة والإصلاح في الوطن العربي

المؤلف: محمد بهضوض – الناشر: الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف بيروت – الجزائر 2012 –الصفحات:326 صفحة– القطع: الكبير

في غيهبِ الأشواقِ

ياسين البكالي

دعـي خـدّيـك قُـربـي لا تـخـافـي
عسى تَرسو جوارَهُما القوافي
شربتُ الضوءَ منْ عينيك حتى
ثَملتُ وصرتُ بينَ يديك غافي
متى؟ويتوه في الخلجات قلبٌ
على نهديك لمْ يجد المرافيء
إذا لمَحَتْك في بُستانِ روحي
تُصلّي ملئ بهجَتها قطافي
وتَلْهجُ في حناياي الأماني
وشيئٌ ما يُطوّحُ في شغافي
هُناكَ على شفا فرَحي تَدلى
ضجيجُ هواك فابْتسمتْ ضفافي
مساءُ الخير.عادَ إليّ رُشْدي
كما لو عادَ للّقْيا مُجافي
أُضمدُ ما تَيَسّرَ من شجوني
بصَوْتك مُثْلجاً يأتي و شافي
تدوخُ الذكرياتُ أمامَ وصفي
لنَبْع فاضَ في صَدرِ الفيافي
أقامتْ فيهِ فَيحاءُ المعاني
طقوسَ الحرف تُعلنُ عن زَفافي
مداري أنتِ كيفَ ألُمُّ شَعْثي
لأكْملَ ما تَبَقّى منْ طوافي
صباحُ الخير لو أكملْتُها لمْ
أجدْ غيري مُضافاً للْمُضافِ
أحِنُّ إليك قدرَ حنينِ عقلٍ
كواهُ الحقُ للحَلّ الخُرافي
هنا من غيهبِ الأشواقِ يسعى
إليكِ على دمي الإحْساسُ حافي
فكوني إنْ فتحتُ كتابَ حُبّي
لأقرأ - مُحْتواهُ- ولا تخافي

2011|11|9م

عرسٌ بلا قات

يحيى علي زبارة

سنّيتَ أفضل سنّة محمودة
في عرسكَ الميمون يا شيبانُ
عرس بلا قات وتمباك هما
لبلادنا الويلات والخسرانُ
ما عرس إلاّ مثل عرسك بشْرةٌ
عمّ النفوسَ وبالهنا يزدانُ
فيه تألّقت المباهج وازدهت
فيه السعادة والتقى الإخوانُ
في صالة الأفراح ليس يشوبها
قاتٌ يضرُّ الناسِ أو دخانُ
القات أصبح بالسموم مبوداً
ولطالما سقمت به الأبدانُ
وله مضارٌ ليس يحصر عَدُّها
مهما يكابر مَنْ به ولهانُ
يا أيها الشبّان هيّا استيقظوا
فالقات كارثة لكم وهوانُ
لا تدمنوه فهو إفسادٌ لكم
مهما ادّعيتم أنه سلوانُ
لا تتركوه يستبدّ بحالكم
وبوقتكم فَبه الحياة تُهانُ
كونوا كخلق اللّه في كلَ الدُّنى
لا يسلبنّ عقولكم إدمانُ
لا تهدروا أوقاتكم في مضغه
حتى بكم تتطور البلدانُ
هلاّ اعتبرتم من ضحاياه التي
كثرت ومن أخطاره السرطانُ
كم مدمن للقات ضاع عياله
ودهاهم الإهمال والحرمانُ
هلاّ استمعتم للنصيحة يا ترى
أم إنما ليست لكم آذانُ
القات أصبح قاتلاً نضبت به
ماء البلاء، كأنه شيطانُ
فمتى متى نصحو ونعرف أنه
وبه يحل البؤس والأحزانُ
ومتى يكون شعارنا يمنٌ بلا
قات ويأبى مضغه الإنسانُ
حتى يكون لشعبنا وبلادنا
عبر الزمان وفي البسيطة شأنُ
إني لأُكبرُ مَنْ يكون شعاره
هذا وسوف تجلّه الأزمانُ
ولابن شيبان الثنا كل الثنا
والحبّ والتقدير والعرفانُ
فلعرسه السبق العظيم بسنّة
محمودة تسمو بها الأوطانُ
ولسوف ينهج نهجه مستقبلاً
جيل جديدٌ وعيه يقظانُ
لن يأسر القات المشينُ حياته
كلاّ ولا الإهمال والخذلانُ
فربيعه العربي جاء بثورة
كي يختفي الإفساد والأدرانُ
أهدافها حرية وعدالة
وبها كرامات الشعوب تصانُ

أمنية ممكنة

خالد الحيمي

(1)
بغضّ الطرف عن الثوان المصفدة، والتروس التي توقفت عن العمل، تمرّ الأوقات الحرجة، متجاوزة عوالم توثّق لأمسها بخطابات الساسة، ولغدها بالوعود المصائد .

(2)
انصهرت الحكمة في بوتقة التخبط، وذابت في أفواه تدمن لوك الكلام، اسماً حمضياً فقد خصائصه. وما زلنا لا ندري: من منّا يبحث عن الآخر ؟! ولماذا تقف بين صرختين تتصارعان ولا تنتصر ..؟!

(3)
الملامح الخرافية للفجائع مثقوبة عند الأطراف، ومعلقة على جدار متصدّع، يمنحها البعد المجازي للغفلة، حيزاً للرؤية المراوغة، بين الصعود المعقّد، والنهايات المباغتة. فيما لا نزال نحتفظ بقدرة على التخلص من الأزمات العابرة، والثرثرة عن دور الفراشة والعنكبوت، في مشهد الفريسة والصياد.

(4)
بعد أن غادرت أصواتنا، وتراكمت في البعيد، ننصت لهمس مبهم، لا يترجمه حدس البديهة، نحاول فكّ طلاسمه، فنسقط في خضم السؤال

(5)
أيتها المصابيح، لا تنعسي؛ الظلام يراقب خطونا، ويحدق في كلّ أمنية ممكنة .

تمـرّد

يكتب كثيراً . . يفكّر بعقل بقرة، ويرفس كتاباته بقدمي حمار، ولا ينسى أن يعلق صورته أعلى الصفحة إلى اليسار ممهورة باسمه وبريده الالكتروني، هكذا تعوّد أن يفعل. ولمّا أراد الكتابة بطريقة مختلفة . . تمرّدت أفكاره، وتحصّنت في مواقعها، وأعلنت العصيان. جهوده الحثيثة للسيطرة عليها وترويضها باءت بالفشل.. كلما حاول الاقتراب منها تُحرق أصابعه وتشوي قلبه وترمي به بعيداً، مطلقة ضحكة غرائبية أشبه ما تكون بانهيار سقف خشبي على قطط جائعة. حاول كثيراً؛ وعندما أعيته الحيلة هجم عليها يطلب روحها. وقبل أن يلمسها، تجمّدت أطرافه وتحوّل جسده إلى تمثال حجري!!

اصدارات ثقافية

حطام الإمبراطورية

■ كان العالم الآسيوي عامّة، من الصين إلى الهند وتركيا، يعيش حياة من الأزمة، في نهاية القرن التاسع عشر. وكانت مجتمعات هذا العالم تعاني حالة من الجمود، حيث إنها بقيت على حالها دون تطوّر كبير منذ عدّة قرون. ويضاف إلى ذلك، حالة من العجز في مواجهة الجيوش الغربية، وفي القدرة على المنافسة التجارية للغرب الذي كان يتمتع بثمرات الثورة الصناعية الكبرى التي انطلقت في العديد من بلدانه.. هذه هي التوصيفات التي يطلقها الباحث الهندي بانكاج ميشرا في كتابه الأخير، الذي يحمل عنوان :" من حطام الإمبراطورية"، وعنوان فرعي :"المثقفون الذين أعادوا صياغة آسيا".

يكرس المؤلف اهتمامه بالتحديد، للكيفية التي ردّت فيها النخب الآسيوية على الحداثة الغربية أو على ما أطلق عليه البعض تسمية "البرابرة البيض". وفي كل الأحوال يجد انه ساد لدى النخب المعنية، الشعور بضرورة الرد على الغرب المادي وذي الأخلاق المتردية.

ويحدد ميشرا ثلاثة مشارب للرد لجأت إليها النخب الآسيوية . والفئة الأولى يجدها في أولئك التقليديين الذين اعتقدوا منذ زمن طويل، أن التقاليد الدينية العريقة المتأصّلة في القارة ستنتصر في نهاية الأمر. والفئة الثانية يمثلها المعتدلون. وأمّا الفئة الثالثة والأخيرة، فتخصّ فئة الثوريين من أمثال ماوتسي تونغ الصيني ومصطفى كمال اتاتورك التركي.

ويشرح المؤلف أنه منذ ما يزيد على قرن من الزمن، قامت مجموعة من المثقفين المتميزين في بلدان القارّة الآسيوية، ومع الاستقلال التام في نشاطاتها وبعيدا عن إقامتها أية شبكات كانت، بالبحث عن إرساء الأسس لتقاليد فكرية آسيوية خاصّة، تحترم الخصوصيات والهويات النابعة من الأرض، بحيث تحاكي، في الوقت نفسه، الحداثة الغربية، أو تأخذ مواقف واضحة حيالها.

وفي جميع الحالات، كان المحرّك الأساسي لجميع الاتجاهات والمشارب الفكرية التي انبثقت في سياق صعود الغرب، حماية القارّة من وقوعها تحت هيمنته . ذلك فضلاً عن بروز التيارات التحررية في حالة البلدان التي كانت تعاني من الاستعمار، مثل الهند التي كانت تشكّل جزءا من الإمبراطورية البريطانية الاستعمارية لعقود طويلة من الزمن.

وضمن فصول الكتاب، يقدّم المؤلف موجزا عن سيرة حياة أهم المفكرين المعنيين، وعن فلسفتهم وعن الأهداف العريضة التي سعوا من أجل تحقيقها. ولعلّ أهم ما في هذا العمل هو محاولة مؤلفه فتح باب النقاش الفكري والمتجدد، حول مسألة مطروحة على الفكر والمفكرين في القارّة الآسيوية كلها.

وتخص فكرة التصادم بين آسيا والغرب. ويلقي ميشرا أضواء جديدة على السلوك الجماعي ومدى الانفعال الذي خلقته فكرة التصادم، والثمن الباهظ الذي تمّ دفعه من قبل الجميع، والأذى الذي ألحقه كل طرف بالآخر، على طول الطريق. ومن خلال قراءات محددة ودقيقة لمفكرين آسيويين كبار، خلال القرنين السابقين، يقوم ميشرا، وربما للمرّة الأولى، بإيجاد العرى والروابط القائمة بين أطروحاتهم، بحيث يبدو الأمر وكأن حوارا حقيقيا يتمّ بينهم، رغم أنهم كانوا يعملون مستقلين بعضهم عن البعض الآخر. ولم تكن هناك وسائل الاتصال التي يزخر بها العالم اليوم.

ويؤكد المؤلف أن المفكرين المعنيين كانوا جزءا من العالم، وليسوا محصورين في ثنائية الغرب وبقية العالم. بل يرى أنه ينبغي على الغرب نفسه، أن يعيد قراءته للشرق، بعيدا عن الأفكار السائدة فيه منذ قرون.

وإذا كان المؤلف يتعرّض لفكر مشاهير الآسيويين، فإنه يركّز بالأحرى على شخصيتين فكريتين غير معروفتين كثيرا في العالم: جمال الدين الأفغاني الذي عاش مطروداً متنقلا بين أفغانستان والهند وتركيا ومصر؛ المفكر الصيني ليانغ كي شاو الذي يقدمه المؤلف على أنه أوّل مفكر صيني اعتقد بأنه ينبغي على الصين إحداث قطيعة جذرية مع الكونفوشيوسية "تعاليم كونفوشيوس" . ويصف الأفغاني بالصحافي المتجوّل والمعلّم والناشط الاجتماعي والذي كان يعمل في المقاهي والمساجد والبيوت. إن الكتاب، وبالعموم، يثبت فيه ميشرا أنه مؤرخ بارع للأفكار، يعرف كيفية فتح آفاق واسعة على الماضي . هذا فضلاً عن أنه يعيد إلى الواجهة شخصيات فكرية كبيرة، تعود المؤرخون الغربيون على تجاهلها.

الكتاب: من حطام الإمبراطورية.. المثقفون الذين أعادوا صياغة آسيا – تأليف: بانكاج ميشرا – الناشر: فارار وستراوس وجيرو نيويورك 2012 – الصفحات: 368 صفحة – القطع: المتوسط.